نسيم الحجاز في سيرة
الإمام عبد العزيز بن باز
ـ رحمه الله ـ

تأليف
سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على موقع شبكة الإسلام اليوم



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين وعلى آله وصحبه والتابعين، و بعد...

فأصل هذه الرسالة محاضرة كنت ألقيتها منذ سنين بعنوان نسيم الحجاز في سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز وهذه الكلمات :

ليست تعريفاً فالشيخ أعرف من أن يعرف.

وليست مديحاً فالشيخ أزهد الناس في المديح.

وليست رثاء وتأبيناً فقد قيلت والشيخ حي بين أظهرنا .

ولكنها كانت تحليلاً لمكامن الإعجاب في شخصية الشيخ ، ودلالة على جوانب القدوة في سيرته ، وتوجيهاً تربوياً من خلال شخصية فذة، ونموذج فريداً ، وشاهداً حياً على مكارمٍ ومروءاتٍ ومحاسنِ أخلاقٍ كنا نظنها مآثر تروى ولا ترى حتى رأينا الشيخ فرأيناها .

واليوم وقد أفضى الشيخ إلى الرب الذي طالما عبده ودعا إليه ودل عليه، فإن هذه المعاني تزداد بعد فقده نصاعة وإشراقاً وتألقاً .

إن الشيخ يذكر اليوم فلا يذكر إلا بتلك المكارم والفضائل والمحامد، وإ ا لعاجل البشرى أن الشيخ ما ذكر إلا أُثني عليه خيراً، وإنا لنرجوا له بذلك حسن المنقلب وكريم الجزاء.

وإن كنا في حاجة إلى التذاكر في سيرته وهو حي، فنحن إلى تذكرها بعد وفاته أحوج، فالشيخ كان ولا يزال شخصية متميزة ومدرسة سلوكية متكاملة.

وإني لأرجو أن أكون قد دللت في هذه الرسالة على بعض أوجه التميز في هذه الشخصية، وجوانب القدوة في هذا السلوك.

سلمان بن فهد العودة

الفصل الأول

أولاً: أسباب تناول الموضوع

أسباب كثيرة دعت إلى تناول هـذا الموضوع وطرحـه والحديث عنه، ونجمل هذه الأسباب فيما يلي:

١. لابد من القدوة:

إن كل أمة لها رجال وقادة في الفكر والعلم، كما لها رجال وقادة في السياسة والإدارة، كما لها رجال وقادة في الحرب والمعارك.

وتنشئة الجيل على تقدير هؤلاء الكبار والوفاء لهم وتقفي آثارهم ضرورة تربوية لابد منها.

فبمن يقتدي الجيل، إذا تنكرت الأمة لعظمائها، وتجاهلت تاريخهم، إن حال هذا الجيل سيؤول إلى أحد أمرين :

إما أن يتنكر للكبار كما تنكر من قبله، فيصبح جيلاً بلا تاريخ، منسلخاً عن أصوله ومبادئه، مقطوع الصلة بماضيه،

مبتوت العلاقة بتاريخه كما قال أحمد شوقي:

مثلُ القومِ نسوا تاريخهم كلقيط عي في الناسِ انتسابا

وإما أن ينظر الجيل إلى هذه الفئة التي تنكرت لعظمائها نظرة انتقاد واعتراض، فينقم على ذلك ا تمع، ويشعر أنه مجتمع فاسد منهار لا قيم ولا وفاء له، وكلا الأمرين خطر عظيم.

إنه ليس من مصلحة الأمة في سابقها ولا في حاضرها، ولا في مستقبلها أن تتنكر لرجالها.

وفي الوقت الذي ننادي نحن وغيرنا بتبجيل شخصية من الشخصيات العلمية والتربوية، فإننا لا نقبل أن يكون هذا مصادرة للكبار الآخرين، والعظماء في كل ميدان، فإن الأمة الإسلامية ثرية برجالا ا وعظمائها، والحفاوة ببعضهم لا تعني غمط الآخرين.

فقد آن الأوان أن تعي الأمة أن تعظيم فلان لا يعني الحط من قدر غيره، وأن ا ال يتسع لأعداد كبيرة من العظماء والكبراء والقادة والأئمة، وهذا المعنى الكبير العظيم لا بد أن نقرره قولا وفعلا.

ونحن إذ نتحدث عن شخصية نكن لها جميعا الحب والتقدير،



نريد تأكيد هذا المعنى، وهو أن الأمة ينبغي أن تعي أ ا في الوقت الذي تحتفي برجل كابن باز- رحمه الله - ينبغي أن يتسع قلبها أيضا لرجال آخرين من أهل العلم أو الدعوة أو الإصلاح أو التعليم أو التربية أو سوى ذلك.

فهذه الأمة فيها عظماء كثيرون وفيها أئمة وفيها قدوات وغرفة القيادة تتسع لهم جميعا، لأن كل فرد منهم في ميدان لا يملؤه غيره، وثغرة لا يسدها سواه.

ولا يجوز أن يكون ثناؤنا مغرضا، فنحن لا نثني على شخص لكي نعرض بآخر، نتحدث عنه كما لو لم يكن أمام أعيننا غيره، وقد نثني في موضع آخر على من يستحق الثناء، فنتحدث عنه بالطريقة ذا ا، وليس الثناء مقصودا لذاته وإنما الثناء كما سبق ثناء للجيل، لهؤلاء الشباب الذين ينتظرون القدوة التي يمشون وراءها.

إن تجاهل هؤلاء الأجلاء في أجهزة الإعلام أمر خطير، لأنه يفسح ا ال للثناء على رموز الشر، وأساطين العلمنة، ودهاقنة التسول الفكري، ويجعلهم هم القدوة والأسوة للشباب، فإن الإنسان بطبعه لابد أن يتمثل أمام ناظريه شخصاً يجعله في موضع

الأسوة والقدوة، ويستفيد من علمه وأدبه وخلقه، والله تعالى حينما أنزل الكتاب بعث الرسول قدوة للناس يعلمهم ويربيهم، والرسول عليه الصلاة والسلام، ربى أشخاصا نقلوا هديه ودينه إلى من بعده، فكان ابن مسعود يربي في العراق، وكان ابن عباس يربي في الحجاز، وكان معاذ وأبو موسى يربيان في اليمن، وكان أبو هريرة وجابر يربيان في المدينة وكان في الأمصار الأخرى غيرهم. ثم توارثت الأجيال ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يحمله من كل خلف عدوله، فلم تخل فترة زمنية من قائم لله بحجة من العلماء والأئمة الذين هم قدوات الناس، وقادة سير م في الحياة.

فإذا فقد الجيل الثقة بالرجال الذين هم أهلٌ لأن ينظر في هديهم ويقتدي م، فإنه سوف يلتمس القدوة ممن قد يكون منحرفا في فكره، أو خلقه و سلوكه، لأن وسائل التثقيف والإعلام نجحت في تقديمه للجيل على أنه نموذج ورمز، خاصة ونحن نجد أن أرباب الفكر المنحرف يتبادلون ثناء مغرضا فيما بينهم، فكل واحد منهم يتحدث عن الآخرين من أضرابه ويثني ويطري ويقدمهم للجيل، يقدم أعمالهم وإنجازا م وكتبهم وقصائدهم، على أ ا نموذج للأدب، والثقافة والوطنية، فينشأ

الشاب وهو يقرأ الجريدة، فيجد فيها ثناء على فلان وأنه الأديب الكبير، ويطالع ا لة فيجد فيها نقدا للديوان العاشر أو العشرين للشاعر الوطني فلان، ويسمع الإذاعة فيجد فيها مقابلة مع العبقري الكبير فلان، وهكذا... يصبح الجيل با لمثل هذه الشخصيات، وقل مثل ذلك في رموز الفن، ورموز الرياضة، فمع كثرة التنويه والتلميع لأشخاصهم فإن الصغير والكبير ينام ويصحو على الإعجاب بذوا م، وتقفي آثارهم، ويتمنى أن يكون واحدا منهم.

٢. هؤلاء هم السابقون:

إن هؤلاء الرجال الذين نذكرهم، رجال برزوا يوم لم يكن في الساحة هذا الزخم الهائل من أولياء الإسلام ودعاته، وشبابه ورجاله.

بل برزوا في وقت كثرت فيه قالة السوء، وانتشر فيه دعاة الضلالة، وبرزت فيه الدعوات القومية والبعثية وغيرها... وكان الواحد منهم صبورا دؤوبا رغم قلة الناصر والمعين، وندرة المستمع والمتلقي، لقد كان رجال العلم في وقت مضى كابن باز وابن حميد وابن عثيمين والدوسري وابن جبرين وغيرهم، يجلس

أحدهم في حلقته فلا يأتي إليه إلا الن ر اليسير من الطلبة، ويلقي الكلمة فلا يستمع إليه إلا القليل من الناس، ومع ذلك صبروا لهذا الأمر أنفسهم كما أمر الله.

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف:٢٨]. ودأبوا وبذلوا واستمروا، ثم رأوا طلائع هذه الصحوة المباركة، وهذا الإقبال الكبير، فازدحمت حلقا م العلمية بالطلاب، وتكاثر حولهم المتلقون، واحتفلت الأمة م، فلم يتغير من أمرهم شيء، لأن الدعوة التي يحملون هي واحدة، يقولو ا في حال الإقبال كما يقولو ا في حال الإدبار.

وهذه مزية من أبرز المزايا، فليس الفخر لأولئك الذين ظهرت أصوا م وارتفعت في وهج الإقبال، والاندفاع نحو الإسلام، وإنما العجب من أولئك الذين وفوا وصبروا وجاهدوا يوم أن لم يكن في الساحة غيرهم، فجدير بنا أن نؤدي بعض حقهم الواجب في أعناقنا، بعد أن عرفنا رياد م وسبقهم في هذا الميدان الواسع الطويل.

إن الحديث عن هؤلاء الأشخاص يضع الحق في نصابه، فهو معرفة ببعض قدرهم وجهادهم وبلائهم، إن الذين ضحوا من



أجلنا لم يكونوا ينتظرون منا شيئا، ولكن هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

ثانياً: (تنبيهات) يحسن بنا أن ننبه على أمرين لهما تعلق بسير العلماء:

١. الثناء على شخص ما لا يعني موافقته في كل أمر:

نحن لا نعتقد أن الحديث عن رجل كابن باز –رحمه الله - يعني اعتقاد العصمة له في كل ما يقول أو يفعل، أو يأخذ أو يذر، ولا تقليده في كل اجتهاده، ولا ار ان الفكر والعقل في حدود ما وصل إليه..لا نقول هذا ولا ندين الله به.

بل إن من الوفاء له ولأمثاله أن نكون أوفياء للمبادئ التي يحملو ا والتي من أهمها نبذ التقليد ومحاربته وذمه، وتربية الجيل على الأخذ من المنبع الأول، من الكتاب والسنة كما قال الإمام أحمد :"لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي، وخذ من حيث أخذوا" إننا نريد أن نقول للناس في الوقت الذي نثني فيه على هذا وذاك من الأئمة الأعلام: إن مخالفة أحدهم للآخر في مسألة أو عشر أو مائة، لا يعني تنقصه أو مخالفته في المنهج.

ألم تر أن الواحد من العلماء قد يخالف صحابيا أو تابعيا أو إماما متبوعا من الأئمة الأربعة، أو العشرة في مسائل قليلة أو كثيرة، فلا يعني هذا شيئا سوى الوفاء للدليل، ولسان الحال يقول: فلان عزيز والحق أعز منه، إننا نحتاج أن نرسخ هذا الميزان في نفوس الناشئة، ليغنيهم عن تساؤلات كثيرة، وإحراجات وقلق لا يهدأ إلا بتصحيح التصورات وتعديل النظرات، فإن بعض الناس لا يفهمون إلا أحد أمرين:

إما أن تكون صادقا في ثنائك على فلان، وبناء عليه ينبغي أن توافقه في كل شيء، وإما أن تخالفه فيكون معنى ذلك أنك منابذ له في المنهج، مخالف له في الطريق، مباعد له في كل شيء وهذا خطأ عظيم، بل عادة العلماء الراسخين في العلم، أ م قد يثنون على العالم بما هو أهله ويمدحونه بما فيه من خير، ويدعون له، ولا يمنعهم هذا أن يخالفوه في مسألة أو عشر أو مائة من المسائل التي هي موضع اجتهاد.

٢. ضوابط المديح المحمود :

إن المديح ليس مذموما دائما، وقد مدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جمعاً من أصحابه فمدح أبا قتادة "**خير فرساننا اليوم**

أبو قتادة ، وخير رجالاتنا سلمة"[1]، وعلياً "**يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**"[2]، وعثمان "**تستحي منه الملائكة**"،[3] والزبير "**حواري الزبير**"[4] وهلم جرا.

وقد صنف العلماء في كتبهم أبوابا خاصة في المناقب ذكروا فيها ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على رجال من أصحابه، كالعشرة المبشرين بالجنة وأمهات المؤمنين، وأهل الشجرة، وأهل بيعة الرضوان، وأهل بدر وغيرهم.

ثم صنفوا في مناقب القبائل والبلاد والطوائف وغير ذلك شيئا كثيرا يطول وصفه. إذن فالمديح أسلوب تربوي إذا كان في حدود الاعتدال، وإذا كان لغرض صحيح ،

---

(1) أخـرجه مسـلم (٣٣٧٢)، وأحمد (١٥٩٤٢) من حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه.

(2) أخرجه البخاري (٢٧٨٧) ، ومسلم (٤٤٢٣) من حديث سهل بن سعد.

(3) أخـرجه مسـلم (٤٤١٤) عـن عائشة، وأحمد (٢٥٢٦١)، (٢٥٢٦٢) عن حفصة.

(4)أخرجه البخاري (٢٦٣٥)، (٣٤٤١)، (٦٧١٩)، ومسلم (٤٤٣٦) عن جابر.

أما إن كان المديح على سبيل الإطراء ا ـرد، أو على سبيل التزلف، أو الرغبة أو الرهبة، أو كسب المال وحطام الدنيا، فلا شك أنه حينئذ ممقوت مذموم.

ومثله إذا كان الممدوح ممن يخشى عليه أن يوصله المديح إلى شيء لا يرضي الله تعالى، فيدعوه إلى شيء من الغرور، أو بطر الحق أو غمط الناس، أو ما شابه ذلك.

الفصل الثاني

سيرة ذاتية

نحن نتحدث عن سيرة ابن باز، فلابد من ذكر بعض المعلومات الرئيسة عن الشيخ :

اسمه: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز.

مولده وحياته: ولد في الرياض في الثاني عشر من ذي الحجة من سنة ١٣٣٠ للهجرة، من أسرة علمية ينتهي إليها مجموعة من العلماء والقضاة.

كان مبصرا في أول حياته وأصابه المرض سنة ١٣٤٦هـ وعمره آنذاك ستة عشر عاما، فضعف بصره إلى أن فقده في مستهل المحرم من سنة ١٣٥٠ للهجرة، وعمره حينذاك عشرون سنة.

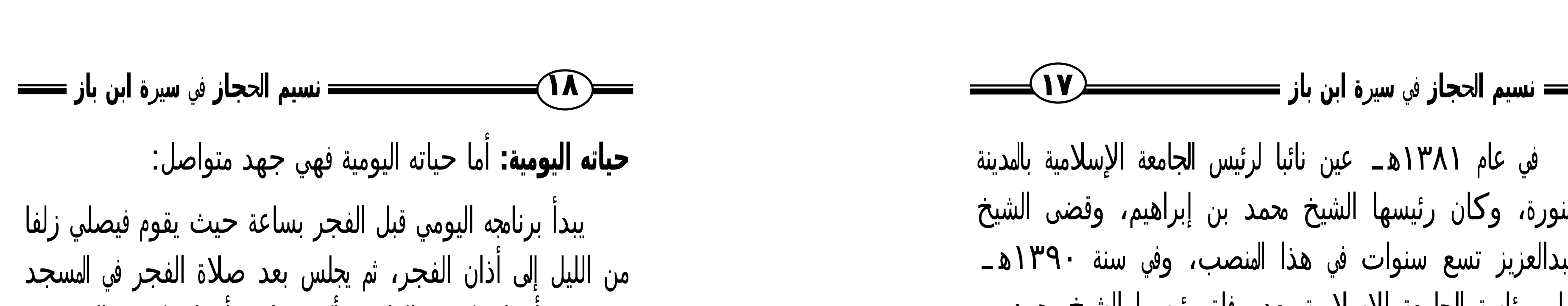
وكان قد حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل أن يصل إلى سن البلوغ.

مشايخه: مشايخه جم كثير، منهم الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ومنهم صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسن قاضي الرياض، ومنهم الشيخ حمد بن فارس وكيل بيت المال في الرياض، والشيخ سعد وقاص البخاري من علماء مكة، وقد تلقى عنه الشيخ عبد العزيز علم التجويد سنة ١٣٥٥ للهجرة، ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم ابن عبد اللطيف، وقد لازمه الشيخ عبد العزيز نحو عشر سنوات، وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية وبه تخرج، وكان الشيخ عبدالعزيز يذكره بإجلال عجيب، وثناء ووفاء بالغ رحمهم الله جميعاً.

الوظائف والمناصب التي تبوأها:

عمل الشيخ في مجال القضاء ابتداء من سنة ١٣٥٧هـ حتى اية سنة ١٣٧١هـ.

وفي سنة ١٣٧٢هـ انتقل الشيخ عبد العزيز إلى التدريس بالمعهد العلمي في الرياض، وظل على هذا سنة واحدة، وفي عام ١٣٧٣هـ انتقل إلى التدريس بكلية الشريعة بالرياض .



في عام ١٣٨١هـ عين نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان رئيسها الشيخ محمد بن إبراهيم، وقضى الشيخ عبدالعزيز تسع سنوات في هذا المنصب، وفي سنة ١٣٩٠هـ تولى رئاسة الجامعة الإسلامية بعد وفاة رئيسها الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله. وفي سنة ١٣٩٥ هـ عين في منصبه الأخير رئيسا لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ثم عين مفتيا عاما للمملكة حتى وفاته رحمه الله رحمة واسعة.

كتبه ومصنفاته: له مجموعة من الكتب والرسائل آخرها مجموع فتاوى ورسائل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وقد صدر منه عدة مجلدات، وله رسالة التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة وهو منسك مختصر محرر، ورسالة الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، وحاشية فتح الباري علّق فيها ا لمدات الأولْ من الفتح.

وله إلى ذلك مجموعة من الأعمال الجليلة، كالمشاركة في العديد من المحافل الإسلامية، والمؤتمرات وا امع الفقهية والعلمية.

حياته اليومية: أما حياته اليومية فهي جهد متواصل:

يبدأ برنامجه اليومي قبل الفجر بساعة حيث يقوم فيصلي زلفا من الليل إلى أذان الفجر، ثم يجلس بعد صلاة الفجر في المسجد حيث تقرأ عليه كتب العلم، وأكثر ما يقرأ عليه كتب السنة، ثم يذهب إلى عمله فيستمر إلى وقت الغداء حيث يتناوله في وسط جموع كبيرة من الناس، فهو لا يجد طعم العيش إلا في وسط هذه الجموع التي تحضر إلى غدائه وتشاركه، والشيخ لا ينفك يرحب م ويفرح بكل قادم مهما كان. ثم يصلي العصر ويلقي درسا قصيرا ثم ينام سويعة قبل المغرب.

ثم هو بعد ذلك للناس بعد صلاة المغرب، وحتى ساعة متأخرة من الليل فربما جلس إلى الساعة الثانية عشرة أو بعد ذلك مع الناس، ثم يخصص وقتا للمشي نحواً من نصف ساعة يتجول فيها في بيته وقد رتب ذلك ترتيبا دائما.

وهو إلى ذلك كله منتهى لآلاف المشكلات في طول البلاد وعرضها، تأتيه من خلال أشخاص أو رسائل أو برقيات أو مهاتفات تنوء بحملها الجبال الرواسي، فأين وقت النوم إذا؟ وأين وقت الراحة؟ وأين وقت الشؤون الخاصة وأين وأين ...؟ هذا ما

يتعجب له الإنسان. ولا ينقضي منه العجب.

وإلى ذلك كله فأنت إذا جلست مع الشيخ وجدت صدره متسعا للناس، يتعرف عليهم، ويسأل عن أحوالهم، وكل من لقيه سأله عن اسمه وأموره وأخباره.

إن هذا الرجل وأمثاله من العلماء والدعاة هم أكبر وأعظم من الألقاب والمناصب، فالمنصب واللقب يشرف أن يضاف إلى ابن باز، أو إلى أمثاله وليس العكس:

نموا إليه فزادوا في الورى شرفا
ورب أصلٍ لفرعٍ في الفَخارِ نمي

الفصل الثالث

جوانب من القدوة في شخصية الشيخ

ماذا نأخذ من ابن باز؟

كيف يمكن أن نلخص تسعين سنة من الجهد والبذل والعطاء الفياض في هذه الرسالة الصغيرة؟

إن تاريخ الأعلام لا ينحصر في أن أحدهم ولد عام كذا أو تخرج عام كذا، فهذا هو الجانب المظهري الذي يملك كل إنسان أن يدركه، ولكننا سنبرز بعض جوانب القدوة التي نراها في شخص هذا العالم الكبير.

هذه الجوانب هي المعنية بحديثنا في هذه الرسالة؛ فهي التي تنفع الأمة، ويستفيد منها الناس حين ينظرون إلى شاهد حي في المُثل والأخلاق، وقدوة حسنة في التقفي والاقتداء.

وإليك بعض الجوانب في شخصية الشيخ التي يقتدى به فيها:



أولا: الحلم وسعة الصدر:

من جوانب العظمة في شخصية ابن باز، سعة صدره واحتماله للناس على اختلاف طبقا م، ومشار م، ومستويا م العلمية والاجتماعية والوظيفية. فهو حليم لا يضجر على كثرة من يأتيه من الناس، تأتيه أعداد غفيرة كل له سؤاله وقضيته و مشكلته التي يريد من الشيخ أن يشاركه فيها وأن يساعده في حلها، فتجد الشيخ يقبل على هذا، ويبتسم له ويباسطه ويسأله عن حاله: من الأخ؟ وأين تعمل؟ وهل أنت متزوج؟ كم عندك من الأولاد؟ ومن أي مكان؟ فإن كان يعرف البلد الذي هو فيه، سأله عن البلد و عمن فيه من أهل العلم، حتى لو كان هذا الإنسان شابا صغير السن، ويفعل مع الآخر نظير هذا.

إن هذا أمر عجيب في جنب مسؤولية الشيخ وكثرة مشاغله؛ فإنك إذا جلست مع الشيخ ساعة أصابك الضجر من كثرة من يأتونه، وأنت تعلم أن الناس لا مهم إلا حاجا م، فكل إنسان همه شغله ولو كان تافها أحيانا، فيأتي إنسان في قضية شخصية لا تعني أحدا، ثم تجده يطَول الكلام مع الشيخ، ويبدأ بالتفصيل، ويأتي بمقدمات لا حاجة لها، وأنت لا يعنيك الأمر فأنت مجرد

زائر، فتصاب بالضجر من هذه التفاصيل التي لا حاجة لها، أما الشيخ فإنه يطأطئ رأسه، ويصيخ بأذنه لهذا الإنسان حتى ينتهي من كل ما عنده.

ثم بعد ذلك يوجهه الشيخ بما يراه، إما أن يوصيه بالصبر والاحتساب، وإما أن يأخذ أوراقه ويعده أن يكتب معه، وإما أن يساعده بما يمكن، وهذا على كثرة من يأتيه، وتنوع طباعهم وتفاوت أخلاقهم، فربما رفع الواحد منهم صوته على الشيخ، وأغلظ له في القول، بجرأة وجفاء؛ بل رأيت بعضهم وهو يمسك جيب الشيخ بيده، ويهز يده في وجهه رافعاً صوته: يا شيخ اتق الله...، ومع ذلك كله لا يخرج الشيخ عن حلمه وسمته.

وأغلظ كلمة تسمعها من فم الشيخ أحيانا، أن يقول لبعض الحضور إذا زاد في الكلام، أو تكلم فيما لا حاجة له:سبح..سبح، يعني اشتغل بذكر الله، والتسبيح والتهليل، وهذه أخلاق الأنبياء .

فأنت لو تصفحت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لعلمت أن هذه قبسات من هديه مع كثرة من يأتيه من الناس، وفيهم الأعراب الجفاة، و الأعداء والخصوم.

وكان صدره صلى الله عليه وسلم فسيحا لهؤلاء جميعا، قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : (إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتنطلق به حيث شاءت)[1].

وقد يأتيه رجل يريده أن يشفع إلى امرأة هو يريدها وهي لا تريده، كما حصل في قصة مغيث وبريرة، حينما عتقت فرفضت مغيثا، فكان يبكي شوقا إليها، وحبا لها، حتى جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلبوا إليه أن يشفع إليها، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، وقال لها: ما لك عن مغيث؟ فقالت: يا رسول الله أتأمرني؟

قال: لا إنما أنا شافع، قالت: لا حاجة لي به.[٢]

ونحن بحاجة إلى أناس من هذا الطراز.. تكون صدورهم مفتوحة للأمة، تعودوا على السماع من الناس، واحتمال جفو م وغلظتهم وقسو م وسوء أد م، حتى تجتمع حولهم الأمة، قال الله

(1) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (٦٠٧٢) وأخرجه موصولاً الامام أحمد في مسنده.

(2) أخرجه البخاري (٥٢٨٣)، وأبو داود (٢٢٣١) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

عز وجل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ المتوكلين﴾ [آل عمران : ١٥٩].

ثانيا: السماحة:

لم يكن الشيخ عبد العزيز من أصحاب المواقف الانفعالية، بل كان هو رحيماً..ليناً..صبوراً..غير عجول، لا تجده حريصاً على الخصومة مع الآخرين.

فلو بلغه عن أحدٍ شئٌ غير حسن، فإنه يتثبت من ذلك ثم يخاطبه برفق، أو يكاتبه بحسن أدب، مبيناً له وجه الخطأ فيما أخطأ فيه بدليله بعيداً عن العنف والجفاء وغلظة القول.

إنه ليس من الحكمة أن نفتعل الخصومة مع الأطراف كلها، حتى نثبت أننا شيء وهم شيء آخر .

إن صاحب الدعوة يسعى لكسب الناس كلهم إلى دعوته بالحسنى، والكلمة الطيبة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ [النحل : ١٢٥].



وهذا - فيما نرى - من أكثر ما يفتقده الدعاة اليوم، فأكثر الدعاة في عجلة من أمرهم، بل من الدعاة من يقصد إلى أن يغاير الناس ويخالفهم وينابذهم، ويثبت أنه شيء وهم شيء آخر، والواقع أنه لا حاجة إلى هذا ما دمنا نستطيع أن نعلم الناس بالحسنى، فالتميز عن الناس ليس مطلبا شرعيا إلا أن يكون تميزا بالحق، و اتباع الكتاب والسنة.

أما التميز بالألقاب والأسماء والشعارات فإنه يفرق ولا يجمع، وينفر ولا يؤلف، فما دمنا نستطيع أن نجمع الناس على الحق وندعوهم إليه فلماذا نفرقهم أو نتجافى عنهم.

ثالثا: الشجاعة:

- **الجانب الأول: شجاعته مع الحكام وا اهرين بالكفر:**

للشيخ مواقف كثيرة معروفة خاطب فيها حكام البلاد العربية.

فقد كتب إلى جمال عبد الناصر يوم أعدم الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ ومن معه من الدعاة، خطاباً قويا مشهورا محفوظا، وكتب إلى رئيس تونس السابق، وإلى رئيس ليبيا، و إلى رئيس اليمن، و إلى رئيس مصر، وغيرهم ناصحاً ومذكراً وآمراً بمعروف وناهياً عن منكر.

وما حدث أو اقترح عليه أن يكتب إلى حاكم من الحكام، إلا أبدى موافقته وكتب إليه، داعيا إلى الرفق بالرعية والحرص عليهم، وتحكيم الكتاب والسنة وما أشبه ذلك من المعاني. ولو أن ما كتبه نشر لعلم الناس نفَس الشيخ وجهده ونصيحته.

أمـا كتابة الشيخ عن بعض الذين جاهروا بالكفر فهو معروف، فقد علم أن بعضهم أنكر بعض ما في القرآن الكريم، وسخر ببعض القصص القرآنية واستهزأ بسنة النبي صلى الله عليه



وسلم، وألغى بعض الأحكام الشرعية، فكتب الشيخ كلاما قويا رصينا معلنا، كان له صدى كبيرا في نفوس الناس .

- **الجانب الثاني: شجاعته مع عامة الناس:**

هناك من العامة والخاصة المحيطين بالكبار من يكون له نوع من الحصار الفكري، الذي يصعب الفكاك منه، حتى ربما أثروا على من يحيطون به، وأصبح من الصعب عليه أن يخالفهم.

أما الشيخ ابن باز فهو شجاع مع الجميع، فإذا رأى الحق قال به، ولم يبال بخلاف من حوله، وإذا رأى الحق خلاف ما يعتاده العامة أيضا قاله ولو خالفه من خالفه في ذلك، فله في هذا مواقف مشهودة واضحة .

وكل ما أفتى به الشيخ أو قاله مما يستغربه البعض أو يستنكرونه فإن الشيخ لم يقله مهابة ولا مجاملة لأحد، ولكن هذا الذي رأى أنه الحق فقاله، بغض النظر عن موافقة الآخرين أو مخالفتهم .

إن الشيخ ينطلق من منطلقات الإخلاص، والنصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.

رابعا : سعة الأفق للاختلاف المبني **على الاجتهاد السائغ:**

سواء كان هذا الخلاف خلافا في مسائل فقهية، أو خلافا عمليا في أمور اجتهادية واقعية، فإن الشيخ من أكثر العلماء سعة صدر لهذا الخلاف وقبولا للرأي المخالف، وحلما على من يقول به، فهو لا ينطق بالكلمات النابية على من خالفه، ولا ينحى باللائمة عليه ولا يتهمه، فلا يسيء الظن بمن خالفه، ولا يتهجم عليه، وإن رد فبالكلمات الطيبة، والعبارات المؤدبة.

فلا أحد يمنعك أن يكون لك رأي، لكن لا تطرح هذا الرأي على أنه هو الدين، وأنك الناطق الرسمي باسم الكتاب والسنة، وأن من خالفك فليس من أهلها، ولكن اطرح ما لديك بتواضع واعتدال وتعقل وبصيرة، وقل كما قال الشافعي: رأيي وهو صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".

خامسا: رجل عامة:

الشيخ رحمه الله رجل عامة منذ أن ابتدأ قاضياً وإلى وفاته لا يحجب الناس دونه، ولا يرد أحد عن بابه.

في مجلسه والكبار والصغار، والعوام والعلماء، لم يحتجب



يبة العلم مع وجود الهيبة والوقار على محياه.

يعيش مع العامة في مشاكلهم اليومية، وحاجا م المادية وقضاياهم الاجتماعية، ولذلك أصبح قريبا من النفوس، فهو يرى أن كل من قصده في شيء، فحقه عليه أن يتقبل شكواه، ويبذل له وسعه، ولو في شفاعة حسنة، أو دعوة صالحة، أو توجيه رشيد.

ولذلك يصح أن يطلق عليه رجل عامة، ونحن نحتاج إلى هذا النمط من العلماء، والدعاة، وطلاب العلم، الذين لا يحتجبون عن العوام.

إننا لا نطالب أن يجعل الإنسان كل وقته للناس، فهذا أمر صعب، فلكل إنسان خصوصياته وأوقاته وظروفه، وهو يحتاج إلى وقت للتعلم وللقراءة وللتعليم وللتحضير و للفتوى إلى غير ذلك.

ولكن ينبغي أن يكون مع ذلك أوقات لتقبل مشاكل الناس، والسؤال عن أحوالهم وحل مشكلا م، وهذا النمط من العلماء ، هم الوقود الحقيقي لهذا ا تمع.

سادسا: العالمية:

تجتمع عند الشيخ هموم المسلمين كلها، فتجده يستمع لأخبار المسلمين في اصقاع الأرض النائية كما يسمع أخبارهم في أقرب بلدٍ إليه.

لقد كان قلباً يحمل هموم أمة، ليس فقط بالحزن لهم، بل يبذل المستطاع فيرسل الوفود، ويبعث الأموال، ويخاطب المسؤولين هنا وهناك، فيما يعتقد أن فيه مصلحة.

ونحن نحتاج إلى دعاة يخرجون من الهم المحلي إلى الهم العالمي، ويعيشون مشاكل المسلمين في كل بلد، ليس فقط أن مسلما ذبح.. أو مات جوعا.

ولكن أيضا، أن المسلمين في بلاد العالم كلها يعيشون جهلا وغيبة عن الإسلام، وكما يحتاجون إلى السلاح في الدفاع عن أنفسهم، أو الطعام لسد جوعتهم، يحتاجون أيضا إلى من يعلمهم الكتاب والسنة، ويربيهم على معانيها.

وللشيخ مندوبون ودعاة في كل بلاد العالم، أكثر من ألف داعية يتبعون المكتب الخاص للشيخ، ويقوم بالإنفاق عليهم ودفع



رواتبهم .

له خلْف بحرِ الصينِ في كل بلدةٍ
إلى سوسِها الأقصى وخلف البرابرِ

رجالٌ دعاةٌ لا يفل عزيمهم
ـكم جبارٍ ولا كيد مـــاكرِ

إذا قال مروا في الشتاءِ تسارعوا
وإن جاءَ حر لم يخف شهر ناجرِ

هم أهلُ دينِ اللهِ في كلّ بلدةٍ
وأرباب فتياها وعلم التشاجــرِ

هذا الأمر يدعو إلى وقفة....

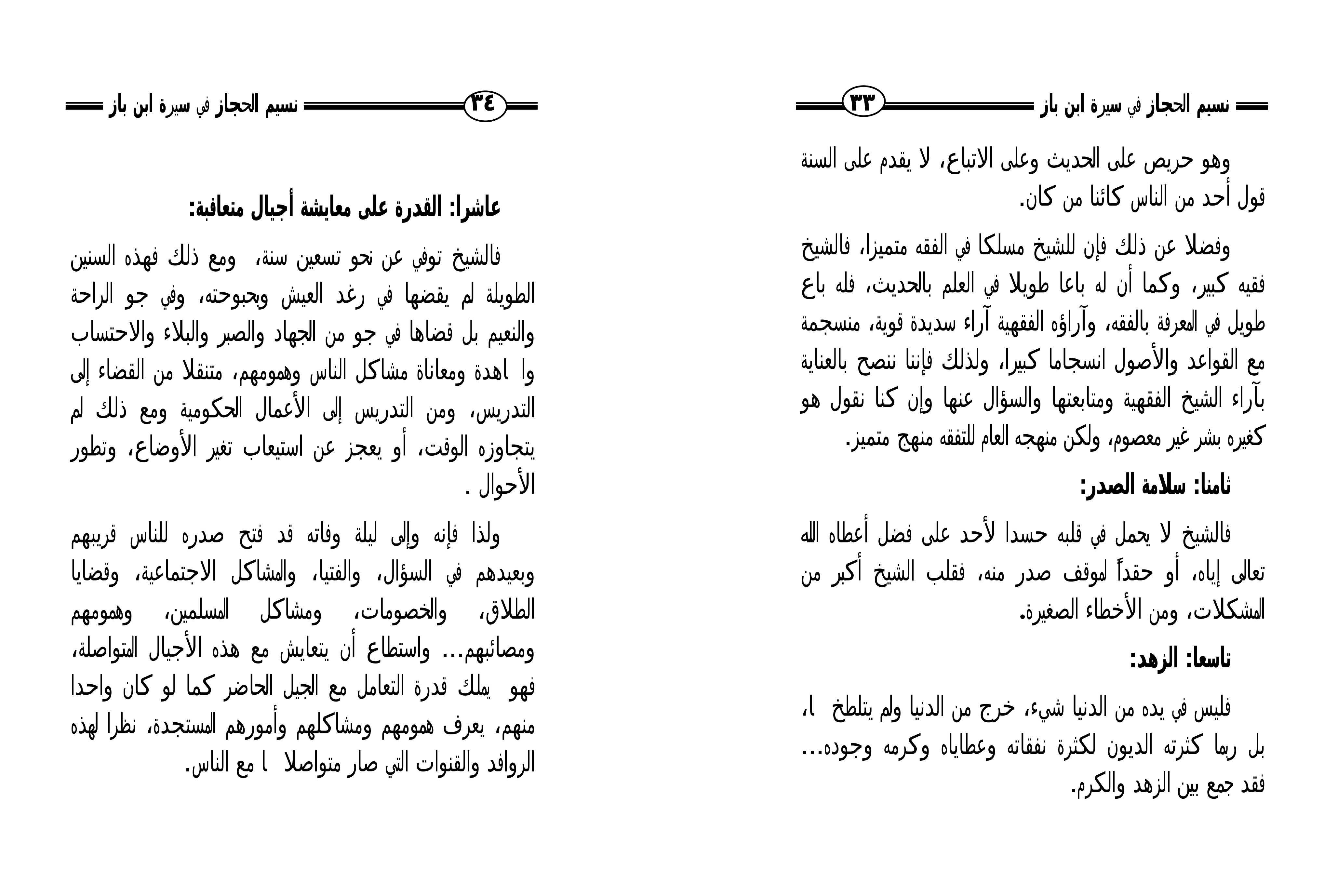
إن الشيخ كان مثالاً في العمل الإيجابي، حيث تبنى بجهده الخاص هذا العدد الضخم من الدعاة، ونحن نطالب الدعاة بأن يكون كل واحد منهم قائما على سد هذه الثغرة كما كان الشيخ، فلو وجدنا مائة داعية، كل واحد منهم تبنى عشرة من الدعاة في بلاد العالم الإسلامي، ينفق عليهم ويجمع من أموال المحسنين لدفع رواتبهم، وكل واحد من هؤلاء الدعاة له مكتب

وله مركز وله مدرسة، لوجدنا أننا غطينا مساحة كبيرة من العالم.

إننا ندعو الدعاة وطلبة العلم، أن يشاركوا في حمل هذا العبء الكبير. وأن يشعروا بأن المسؤولية ملقاة على عواتقهم هم قبل غيرهم، وأنه لا يجوز أن يلقوها على جهات أخرى رسمية أو غير رسمية، وأن يعتمدوا على الله عز وجل ثم على أنفسهم، وكل إنسان يستطيع أن يقوم بهذا المشروع في نطاقه الشخصي، ولو بصورة محدودة، فيحاول أن يحصل على تربية واحد أو أكثر من أطفال المسلمين مثلا، أو يحرص الداعية وطالب العلم، أن يتابع عدداً من الدعاة في العالم الإسلامي، وبذا يتظافر العمل ويتكامل الجهد .

سابعا: العناية بالعلم والفقه والحديث:

فعلى كثرة مشاغله العالمية والمحلية وتلقيه لأمور الناس وهمومهم ومشاكلهم، إلا أن ذلك كله لا يمنع الشيخ من مواصلة الطلب والبحث. فالشيخ محدث من الطراز الأول، يستظهر الصحيحين ولا يكاد يفوته شيء من الكتب الستة.



وهو حريص على الحديث وعلى الاتباع، لا يقدم على السنة قول أحد من الناس كائنا من كان.

وفضلا عن ذلك فإن للشيخ مسلكا في الفقه متميزا، فالشيخ فقيه كبير، وكما أن له باعا طويلا في العلم بالحديث، فله باع طويل في المعرفة بالفقه، وآراؤه الفقهية آراء سديدة قوية، منسجمة مع القواعد والأصول انسجاما كبيرا، ولذلك فإننا ننصح بالعناية بآراء الشيخ الفقهية ومتابعتها والسؤال عنها وإن كنا نقول هو كغيره بشر غير معصوم، ولكن منهجه العام للتفقه منهج متميز.

ثامنا: سلامة الصدر:

فالشيخ لا يحمل في قلبه حسدا لأحد على فضل أعطاه الله تعالى إياه، أو حقداً لموقف صدر منه، فقلب الشيخ أكبر من المشكلات، ومن الأخطاء الصغيرة.

تاسعا: الزهد:

فليس في يده من الدنيا شيء، خرج من الدنيا ولم يتلطخ ا، بل ربما كثرته الديون لكثرة نفقاته وعطاياه وكرمه وجوده... فقد جمع بين الزهد والكرم.

عاشرا: القدرة على معايشة أجيال متعاقبة:

فالشيخ توفي عن نحو تسعين سنة، ومع ذلك فهذه السنين الطويلة لم يقضها في رغد العيش وبحبوحته، وفي جو الراحة والنعيم بل قضاها في جو من الجهاد والصبر والبلاء والاحتساب وا اهدة ومعاناة مشاكل الناس وهمومهم، متنقلا من القضاء إلى التدريس، ومن التدريس إلى الأعمال الحكومية ومع ذلك لم يتجاوزه الوقت، أو يعجز عن استيعاب تغير الأوضاع، وتطور الأحوال .

ولذا فإنه وإلى ليلة وفاته قد فتح صدره للناس قريبهم وبعيدهم في السؤال، والفتيا، والمشاكل الاجتماعية، وقضايا الطلاق، والخصومات، ومشاكل المسلمين، وهمومهم ومصائبهم... واستطاع أن يتعايش مع هذه الأجيال المتواصلة، فهو يملك قدرة التعامل مع الجيل الحاضر كما لو كان واحدا منهم، يعرف همومهم ومشاكلهم وأمورهم المستجدة، نظرا لهذه الروافد والقنوات التي صار متواصلا ا مع الناس.

الحادي عشر: حمله لهموم الإسلام بنفسه:

وهذه قضية مهمة جدا فهو لا يلقي التبعة على الآخرين.

إن من العلماء من إذا قلت له: نحتاج كذا... قال: ليت العلماء يفعلون كذا.. ليت الناس يقومون بكذا.. ليت طلبة العلم يجتمعون على كذا . . . أما الشيخ عبدالعزيز فإنه لا يلقي باللائمة على غيره، ولا يحمل المسؤلية سواه، بل يشعر بأنه هو المسؤول وهو المطالب، ويبذل ما يستطيع ، ويعالج المواقف بالذي يقدر عليه ويستطيعه.

والأساليب التي يعالج ا المواقف أساليب اجتهادية، وقد يستحسن هو شيئا ويستحسن غيره شيئا آخر، لكن المهم أنه لا يعول على الآخرين فقط ويتخلى هو، أو يبعد نفسه، بل كلما جئته في قضية دقيقه أو جليلة قال: نفعل إن شاء الله ونبذل ما نستطيع، أقل ما يقوله أن يقول: نحن نشفع ويقضي الله ما يشاء .

أما أن يقول لا نستطيع أن نصنع شيئا، أو لا طاقة لنا ذا فقلما تجد سماحته يقول ذلك. وهنا نجد أننا أمام إنسان شعر

بالمسؤولية، ولم يشعر أن الحمل على غيره من الناس، كلا بل يشعر أن الحمل عليه ويسعى إلى نجاة نفسه بما يستطيع. فليت كل واحد منا يشعر بالمسؤولية ذا ا.

أخيرا من صفاته: التثبت والتأني والتحري والحرص على سلامة الآخرين:

فهو يتمنى ألا يكون ما بلغه عن فلان من سوء صحيحا وإن احتاج إلى محاققة تثبت وتبصر، وهذه أخلاق الكرماء من الرجال، وقد حصل أن أوراقا وصلت إلى سماحته عن داعية مشهور يتهم فيها أنه مبتدع مخالف للسنة.

فكتب الشيخ لهذا الداعية رسالة فيها التبجيل والتوقير والثناء والدعاء، وبعد ذلك قال: وصلتني أوراق بشأنكم فيها كيت.. وكيت.. وأرجو أن يكون ما بلغني عنكم غير صحيح، ولكنني أحببت التثبت من ذلك.

إن الشيخ لا يتكلف أن ينقب عن قلوب الناس، ولكن يكفيه أن تظهر السلامة فيهم، وأن تكون علانيتهم الخير.

يكفي أن يظهر الإنسان التزام السنة، ومجافاة البدعة،

والدعوة إلى الخير والنهي عن المنكر، أما سرائر الناس ودخائلهم وبواطن أحوالهم فهذه أمرها إلى الله كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "**إنك إن اتبعت عورات الناس أفسد م أو كدت أن تفسدهم**"[1] .

وبعد فهذه إشراقات من حياة الشيخ قيلت في حينها على عجل، ولكن حياة الشيخ وسيرته أوسع من ذلك بكثير، وستظل في جوانب سيرته، ووقائع حياته، وسلوكه وانجازه، معالم مضيئة لكل من يترسم سلوك العلماء الربانيين ويتوسم هديهم ويتقفى أثرهم، رحم الله الشيخ وغفر له، ورفع في درجات الجنة نزله، وجمعنا وإياه في دار كرامته.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) من طريق ثور بن يزيد عن راشد بن سعد عن معاوية رضى الله عنه. ورجاله ثقات أثبات إلا أن ثور لم يسمع من راشد شيئاً كما نص على ذلك الإمام أحمد.

الفهرس

